عصر داود

تقدّمت السن بصموئيل الذي هو آخر القضاة، فطالبه «بنو اسرائيل» بملك يولّى عليهم أسوة بجيرانهم، فرفض صموئيل بادىء الأمر[٣٢]. وأخيراً، تمّ تنصيب شاؤول ملكاً على «اسرائيل» العام ١٠٢٠ ق.م.[٣٣]، بعد محاولات عقيمة لتوحيدهم تحت حكم رجل واحد، وقد كان ذلك في القرن الحادي عشر قبل الميلاد: «تمّ خروج بني اسرائيل قبل الميلاد بنحو خمسة عشر قرناً تقريباً. وهم لم يفكروا في تأليف ' أمّة ' واحدة وتنصيب ملك عليهم الاّ في أوائل القرن الحادي عشر قبل الميلاد»[٣٤].

«وتقدّم شاؤول لمحاربة الفلسطينيين، ولكنه كان متردّداً وجلاً؛ وكان خليقاً ان يخسر في الحرب، خاصة وقد كان على رأس الفلسطينيين احد عتاة المقاتلين واسمه جوليات، لولا ان تقدّم غلام صغير من الرعاة متطوعاً لمنازلة جوليات. وقد تمّ لهذا الغلام، واسمه داود، قتل غريمه؛ وتحوّلت، بذلك، دفّة الحرب لمصلحة الاسرائيليين؛ وكوفىء داود على ذلك بتزويجه ميكال، ابنة شاؤول، بعد ان تقدّم اليها بمهر قدره مئة من مذاكير الفلسطينيين بعد قتلهم.

«واضطرمت الغيرة بين شاؤول وداود حتى أصبحت فتنة؛ ثمّ انتهى حكم شاؤول بمعركة هزمه فيها الفلسطينيون شر هزيمة، فانتحر هو وأبناؤه الثلاثة وحامل سيفه وجميع رجاله معاً، وهرب بنو اسرائيل» (صموئيل الاول: ٣١)[٣٥].

«واستطاع داود (١٠٠٠ ـ ٩٦١ ق.م.) ان يصبح أمير يهودا بعد شاؤول؛ لكنه لم يتمكّن من اخضاع القبائل اليهودية الى ان قتل إشبوشيت، ابن شاؤول، وأبنر قائد جيوش شاؤول»[٣٦].

«وقد واصل داود حرب أسلافه ضد الفلسطينيين وتمكّن من اخضاعهم سنة ٩٩٠ ق.م. تقريباً، وأقام ادارة على الطراز المصري القديم. وقد أجبر دمشق على دفع الخراج له؛ كما أحبط مؤامرة ابنه أبشالوم؛ وكذلك أخمد ثورة الولايات الشمالية من مملكته؛ وأخضع الموآبيين ـ الدّ وأقدم اعداء اسرائيل ـ والايدوميين والعمونيين»[٣٧].

ولكن كيف استطاع داود ان يفعل ذلك ان صحّ؟ الحقيقة ان هذا يعود الى سببين: الاول داخلي، أي بنية جيش داود نفسه التي كانت قوّته الاساسية من الفلسطينيين: «ان ممّا يدعو الى الاهتمام ان نلاحظ ان القوة الاساسية لهذا الجيش الدائم كانت تستمد من مصادر أجنبية، لأن الشريطيين والبلطيين كانوا فلسطينيين (فلستينيين) على وجه اليقين، ولم يكونوا يشكّلون عماد قوة داود فحسب، بل ان وجودهم في صفوف جيش داود قد ذهب الى مدى تنصيبه على العرب. لقد كانوا بالنسبة الى داود كما كان الحرس البريتوري بالنسبة الى اباطرة الرومان». وعلّق المؤرخ الانكليزي جفريز قائلاً عن هذه الحقيقة انه بهذا «... قد أسهم العرب بالنصيب الأكبر في إعطاء العرش لسليمان»[٣٨]، الذي «مثّل أوج العصر السياسي لاسرائيل»[٣٩].

والسبب الآخر خارجي. كتب ولز عن داود وهو يسرد قصته: «وكان داود (٩٩٠ ق.م. على وجه التقريب) أشدّ كياسة وأكثر نجاحاً من سلفه، ويلوح انه وضع نفسه في حماية حيرام ملك صور؛ فثبتت هذه المحالفة الفينيقية ملكه، وكانت العامل الجوهري في عظمة ابنه سليمان»[٤٠].

ميزات داود

كان داود، كما ترسم التوراة صورته، انتهازياً شهوانياً لا يهتم الاّ بنفسه وبمطامعه، وتجلّى ذلك في: